

## قصة زواج

### وفلسفة المهر

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

قال رسولُ عبد الملك : وبمك (يا أبا محمد) لَكَانَ دَمَكَ  
والله من عدوك فهو يفوربك لتليج في العناد فتقتل ، وكأني  
بك والله بين سببين قد فترًا عليك ؛ هذا عن يمينك وهذا عن  
يسارك ، ماتفر من حنف إلا إلى حنف ، ولا ترحمك الأنياب  
الإبغاليها .

هنا هشام بن اسماعيل عامل أمير المؤمنين ، إن دَخَلَتْه الرحمة  
لك استوثق منك في الحديد ، ورآني بك إلى دمشق ؛ وهناك  
أمير المؤمنين ، وما هو والله إلا أن يطم لحك السيف يمسُّ  
بك عض الحية في أنيابها السم ؛ وكأني بهذا الجنب مصروعاً  
لمضجته ، وبهذا الوجه مضرَّجا بدمائه ، وبهذه اللحية مُمَقَّرَةً  
بترابها ، وبهذا الرأس مُخْتَرًا في يد (أبي الزُّعَيْرِ عَة) جلا د أمير  
المؤمنين ، يليه من سيفه رمي العنص بالثمرة قد تقلت عليه .

وأنت (ياسيد) فقيه أهل المدينة وعالها وزاهدنا ، وقد  
علم أمير المؤمنين أن عبد الله بن عمر قال فيك لأصحابه : « لورأى  
هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم لَسَرَهُ » فان لم تَكْرُمْ عليك  
نفسك فليَكْرُمْ على نفسك السلجون ؛ إنك إن هلكت رَجَّعَ الفقه  
في جميع الأمصار إلى الموال ؛ ففقيه مكة عطاء ، وفقه اليمن طاووس ،  
 وفقه اليمامة يحيى بن أبي كثير ، وفقه البصرة الحسن ، وفقه  
الكوفة إبراهيم النخعي ، وفقه الشام مكحول ، وفقه خراسان  
عطاء الخراساني . وإنما يتحدث الناس أن المدينة من دون  
الأمصار قد حرسها الله بفقهاء القرشي العربي (أبي محمد سعيد  
ابن المسيب) كرامة لرسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد علم أهل  
الأرض أنك حَبَّجْت نيفاً وثلاثين حجة ، وما فاتتكَ التكبير  
الأولى في المسجد منذ أربعين سنة ، وما قتت إلا في موضعك من  
الصف الأولى ، فلم تنظر قط إلى قنا رجل في الصلاة ؛ ولا وجد

الشیطان ما يعرض لك من قبلك في صلاتك ولا قفار رجل ؛ فأنه  
الله يا أبا محمد ، إني والله ما أغشك في النسيحة ؛ ولا أخدعك  
عن الرأي ، ولا أنظر لك إلا خير ما أنظر لنفسي ؛ وإن عبد الملك  
ابن مروان من عَظَمْت ؛ رجل قد عم الناس ترغيبه وترهيبه ،  
فهو آخذك على ماتكره إن لم تأخذه أنت على ما يحب ؛ وإله والله  
يا أبا محمد ، ما طلبَ إليك أمير المؤمنين إلا وأنت عنده الأعلى ،  
ولا بعثي إليك إلا وكأني يسمي بين يديك ، رعاة لمزلتك عنده ،  
وإكباراً لحقك عليه ؛ وما أرسلني أخطب إليك ابنتك لولي  
عهده إلا وهو يتنزل نفسه إليك ابتداءً ليصل بك رحمة ،  
ويوسق أصرته ؛ وإن يكن الله قد أغناك أن تنتفع به وبملكه ورعاً  
وزهادة ، فما أخرج أهل مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن  
ينتفعوا بك عنده ، وأن يكونوا أصحاباً (الوليد) فيستدفعوا شراً  
ما به عنهم غنى ، ويحتلبوا خيراً ما بهم غنى عنه ؛ ولست تدري  
ما يكون من مصادر الأمور ومواردها . وإنك والله إن لججت في  
عنادك وأصررت أن تردني إليه خائباً ، لتويجن قرم سيوف  
الشام إلى هذه اللحوم ولحُك يومئذ من أطيبها . ولأمير المؤمنين  
تارتان : لين وشدة ؛ وأنا إليك رسول الأولى ، فلا تجملني رسول  
الثانية . . .

\*\*\*

وكان أبو محمد يسمع هذا الكلام وكأنه لا يخلص إلى نفسه  
إلا بمد أن تتساقط معانيه في الأرض ، هية منه وفرقا من  
إقدامها عليه ؛ وقد لان رسول عبد الملك في دهائه حتى ظن عند  
نفسه أنه ساغ من الرجل ساغ الماء العذب في الحلق الظالم ،  
واشتد في وعيده حتى ما يشك أنه قد سقاها ماء حميا فقطع أمعاءه ؛  
والرجل في كل ذلك من فوقه كالسقاء فوق الأرض ، لو تحول  
الناس جميعاً كئاسين يشيرون من غبار هذه على تلك لما كان  
مرجع الغبار إلا عليهم ، وبقيت السماء ضاحكة صافية تتلألأ ؛  
وقلب الرسول نظره في وجه الشيخ ، فإذا هو هوليس فيه  
معنى رغبة ولا رهبة ، كأن لم يجعل له الأرض ذهباً تحت قدميه  
في حالة ، ولم يبلأ الجو سيوقاً على رأسه في الحالة الأخرى ؛ وأيقن  
أنه من الشيخ كالصبي الغر قد رأى الطائر في أعلى الشجرة

المؤمنين ومن اتصل بهما، وعليهم أمثال الجبال من انتقال الذنوب .  
وحقوق العباد .

فهذا ما نظرت في حسن الرعاية لابنتي ، لو لم أرضن بها على  
أمير المؤمنين وابن أمير المؤمنين لأوبقت نفسي . لا والله ما بيني  
وبينكم عمل ، وقد فرغت مما على الأرض فلا يمر السيف مني  
في لحم حي .

\*\*\*

ولما كان غداة غدٍ جلس الشيخ في حلقته في مسجد  
رسول الله صلى عليه وسلم للحديث والتأويل ، فسأل رجل من  
عرض المجلس ، فقال : يا أبا محمد ، إن رجلاً يلاحيني في صداق  
ابنته ويكلفني مالا أطيق . فما أكثر ما بلغ إليه صداق أزواج  
رسول الله صلى الله عليه وسلم وصداق بناته ؟

قال الشيخ : رَوَيْنَا أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ يَنْهَى عَنِ  
الْمُغَالَاةِ فِي الصَّدَاقِ وَيَقُولُ : « مَا زَوْجٌ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ ، وَلَا زَوْجٌ بَنَاتِهِ بِأَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ دِرْهَمًا <sup>(١)</sup> . » وَلَوْ كَانَتْ  
الْمُغَالَاةُ بِمَهْرٍ النَّسَاءِ مُكْرَمَةً لَسَبِقَ إِلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ورَوَيْنَا عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « خَيْرُ النَّسَاءِ  
أَحْسَنُهُنَّ وَجَوْهًا وَأَرْخَصُهُنَّ مَهْرًا . »

فصاح السائل : يرحمك الله يا أبا محمد ، كيف يأتي أن تكون  
المرأة الحناء رخيصة المهر ، وحسنها هو يغلبها على الناس ؟  
تكثر رغبتهم فيها فيتنافسون عليها ؟

قال الشيخ : أنظر كيف قلت . أم يسامون في بهيمة  
لا تعقل ، وليس لها من أمرها شيء إلا أنها بضاعة من مطامع  
صاحبها ، يغلبها على مطامع الناس ؟ إنما أراد رسول الله صلى  
الله عليه وسلم أن خير النساء من كانت على جمال وجهها ، في  
أخلاق جمال وجهها ؛ وكان عقلها جمالاً ثالثاً ؛ فهذه إن أصابت  
الرجل الكف ، يترت عليه ثم يترت ثم يترت ؛ إذ تعتبر  
نفسها إنساناً يريد إنساناً ، لا متاعاً يطلب شارياً ، فهذه لا يكون  
رضخ القيمة في مهرها ، إلا دليلاً على ارتفاع القيمة في عقابها  
ودينها ؛ أما الحقاء فغالها يأبى إلا مضاعفة الثمن لحسنها ، أي

(١) الدرهم خمسة قروش

فقطع فيه خاء من تحتها يناديه : أنت ازل إلى حتى آخذك  
وألعب بك . . .

وبعد قليل تكلم أبو محمد فقال :

« يا هذا ، أما أنا فقد سمعت ، وأما أنت فقد رأيت ، وقد  
روينا أن هذه الدنيا لا تعدل عند الله جناح بعوضة ، فأنظر ماجتني  
أنت به ، وقسه إلى هذه الدنيا كلها ، فكم - رحمك الله -  
تكون قد قسمت لي من جناح البعوضة : . . ؟ ولقد دُعيت من  
قبل إلى نيف وثلاثين ألفاً لأخذها فقلت : لا حاجة لي فيها ولا في  
بني مروان ، حتى ألقى الله فيحكم بيني وبينهم . وهأنذا اليوم  
أدعى إلى أضاعفها وإلى المزيد منها ؛ فأقبض يدي عن جيرة ، ثم  
أمدتها لأملأها جيراً ؟ لا والله ما رغبت عبد الملك لابنه في ابنتي ،  
ولكنه رجل من سياسته إلصاق الحاجة بالناس ليجعلها مقادير  
لهم فيصرفهم بها ؛ وقد أعجزه أن أبيه ، لأن رسول الله صلى الله  
عليه وسلم نهى عن بيعتين ، وما عبد الملك عندنا إلا باطل كابن  
الزبير ، ولا ابن الزبير إلا باطل كعبد الملك ، فأنظر فأنك ما جئت  
لابنتي وابنه ، ولكن جئت تخطفني أنا لبيته . . .

قال الرسول : أيها الشيخ ، دع عنك البيعة وحديثها ، ولكن  
من عسى أن نجد لك ريمتك خيراً من هذا الذي ساقه الله إليك ؟  
انك لراعٍ وأما رعية وستألم عنها ، وما كان الظن بك أن تسي .  
رعيها وتبخس حقها ، وأن تمضلها وقد خطبها فارس بن مروان ،  
وإن لم يكن فارسهم فهو ولي عهد المسلمين ، وإن لم يكن هذا  
ولا ذلك فهو الوليد بن أمير المؤمنين ؛ وأدنى الثلاث أرفع الشرف  
فكيف بهن جميعاً ، وهن جميعاً في الوليد ؟

قال الشيخ : أما إني مسؤول عن ابنتي ، فما رغبت عن  
صاحبك إلا لاني مسؤول عن ابنتي . وقد علمت أنت أن الله يسألني  
عنها في يوم لعل أمير المؤمنين وابن أمير المؤمنين وألفافهم لا يكونون  
فيه إلا وراء عبيد هاو وأباشها ودعارها وفجارها . يخرجون من  
حساب الفجرة إلى حساب القتل ، ومن حساب هؤلاء إلى  
الحساب على السرقة والنصب ، إلى حساب أهل البني ، إلى حساب  
التفريط في حقوق المسلمين . ويخف يومئذ عبيد هاو وأباشها  
ودعارها وفجارها في زحام الحشر ، وعشى أمير المؤمنين وابن أمير

« خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ». فهي زَوْجُهُ حين تجده هو ، لآحين تَجِدُ مَالَهُ ؛ وهي زوجه حين تُسَمُّه لآحين تنقصه ؛ وحين تلامحه لآحين تختلف عليه ؛ فمصلحة المرأة زوجة ما يجعلها من زوجها ، فيكونان معاً كالتنفس الواحدة ، على ما ترى للعضو من جسمه ، يريد من جسمه الحياة لا غيرها . وأما من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد روينا : « إذا أتاكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه . إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير . »

فقد اشترط الدين ، على أن يكون مرضياً لا أى ذلك كان ؛ ثم اشترط الأمانة ، وهي مظهر الدين كله بجميع حسنه ؛ وأيسرها أن يكون الرجل للمرأة أميناً وعلى حقوقها أميناً ، وفي معاملتها أميناً ، فلا يخسها ، ولا يعتسها ، ولا يسي إليها ؛ لأن كل ذلك ثلم في أمانته . فان ردت المرأة من هذه حاله وصفته من أجل المهر — تقدم إليها بالمهر من ليست هذه حاله وصفته ، فوفقت الفتنة ، وفسدت المرأة بالرجل ، وفسد هو بها ، وفسد النسل بهما جميعاً ، وأهمل من لا يملك ، وتمنست من لا تجده ويرجع المهر الذى هو سبب الزواج سبباً في منعه ، ويتقارب النساء والرجال على رغم المهر والدين والأمانة ؛ فيقع معنى الزواج ويبقى المطلق منه هو اللفظ والشرع .

هل علمت المرأة أنها لا تدخل بيت رجلها إلا لتجاهد فيه جهادها ، وتبلى فيه بلاها ؛ وهل يقوم مال الدنيا بحققها فيما تعمل وما تنجاهد ، وهي أم الحياة ومُنشئتها وحافظتها . فإن يكون موضع المال ومكان التفرقة في كثيره وقليله ، والمال كله دون حقها ؟ .

ولن يتفاوت الناس بالمال تختلف درجاتهم به وتكون مراتبهم على مقداره ، تكثر به مرة وتقل مرة — إلا اذا فسد الزمان ، وبطلت قضية العقل ، وتمطل موجب الشرع ، وأصبحت السجايا تتحول ، يملكها من يملك المال ، ويخسرهما من يخسره ؛ فيكون الدين على النفوس كالدهن المذخور لموضعه ، والتدنى في غير حقه ؛ وبهذا يرجع باطل الفنى ديناً يتعامل الناس عليه ، ودين الفقير يهرجأ لا يروج عند أحد . وليس هذا من ديننا

لحمها ؛ وهي بهذا المعنى من شرار النساء ، وليست من خيارهن . ولقد تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض نساءه على عشرة دراهم وأثاث بيت ، وكان الأثاث : رحي يد ، وجرة ماء ، ووسادة من آدم حشوها ليف . وأولم على بعض نساءه بمدن من شمبر ، وعلى أخرى بمدن من تمر ومدن من سويق . وما كان به صلى الله عليه وسلم الفقير ، ولكنه يشرح بسنته ليعلم الناس من عمله أن المرأة للرجل نفس للنفس ، لا متاع لشاويه ، والمتاع يُقوّم بما يُبدل فيه إن غالياً وإن رخيصاً ، ولكن الرجل يُقوّم عند المرأة بما يكون منه ؛ فمهرها الصحيح ليس هذا الذى تأخذه قبل أن تُحمّل لى داره ، ولكنه الذى تجده منه بعد أن تُحمّل لى داره ؛ مهرها معاملتها ، تأخذ منه يوماً فيوماً ، فلا تزال بذلك عروساً على نفس رجلها ما دامت في معاشرته . أما ذلك الصداق من الذهب والفضة فهو صداق العروس الداخلة على الجسم لا على النفس ؛ أفلا تراه كالجسم يهلك ويبلى ، أفلا ترى هذه الغالية — إن لم تجد النفس — قد تكون عروس اليوم ومطلقة الغد؟ !

وما الصداق في قليله وكثيره إلا كالايماء إلى الرجولة وقدرتها ، فهو إيماء ، ولكن الرجل قبل ، ولكن الرجل قبل . إن كل امرئ يستطيع أن يحمل سيفاً ، والسيف إيماء لى القوة ، غير أنه ليس كل ذوى السيوف سواء ، وقد يحمل الجبان في كل يد سيفاً ، ويملك في داره مائة سيف ؛ فهو إيماء ، ولكن البطل قبل ، ولكن البطل قبل .

مائة سيف يمهّر الجبان بها قوته الخائبة ، لا تنفي قوته شيئاً ، ولكنها كالتدليس على من كان جباناً مثله . ويوشك أن يكون المهر النالى كالتدليس على الناس وعلى المرأة ، كى لاتعلم ولا يعلم الناس أنه ثمن خيبتها ؛ فلو عقلت المرأة لباغت النساء بيسر مهرها ، فانها بذلك تكون قد تركت عقلها يعمل عمله ، وكفت حماقتها أن تُفسد عليه .

فصاح رجل في المجلس : أيها الشيخ ، أى هذا من دليل أو أثر ؟

قال الشيخ : نعم ؛ أما من كتاب الله فقد قال الله تعالى :

أنا ، أنا ، أنا . . . . . دوى الجوُّ بهذه الكلمة في أذن طالب العلم الفقير ، فحسب كأن الملائكة تنشد نشيداً في تسييح الله يطنُّ لحنه : « أنا ، أنا ، أنا . . . »

وخرجت الكلمة من فم الشيخ ، ومن السماء لهذا المسكين في وقت واحد ، وكأنها كلمةٌ زوّجته إحدى الحور العين .  
فلما أفاق من غشيّة أذنيه . . . قال : « وَتَفَعَّلَ ؟ »

قال (سعيد) : « نعم » وفسر (نعم) ربّاً حسن تفسيرها وأبلفه ، فحمد الله وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، وزوجه على ثلاثة دراهم (خمسة عشر قرشاً) . ثلاثة دراهم مهز الزوجة التي أرسل بخطبها الخليفة العظيم لولي عهده بثقلها ذهباً لو شاءت . وغشى الفرح هذه المرة عيني الرجل وأذنيه ، فإذا هو يسمع نشيد الملائكة يطنُّ لحنه : « أنا ، أنا ، أنا . . . »

ولم يشعر أنه على الأرض ، فقام يطير ، وليس يدرى من فرحه ما يصنع ، وكأنه في يوم جاءه من غير هذه الدنيا يتعرف إليه بهذا الصوت الذي لا يزال يطنُّ في أذنيه : « أنا ، أنا ، أنا » وصار إلى منزله وجعل يفكر بمن يأخذ ، ممن يستدين ؟ فظهرت له الأرض خلاء من الانسان ، وليس فيها إلا الرجل الواحد الذي يضطرب ضوئه في أذنيه : « أنا ، أنا ، أنا . . . »

وصلى المغرب وكان صائماً ، ثم قام فأسرج ، فإذا سراجُه الخافت الضئيل يسطع لعينيه سطوع القمر ، وكأن في نوره وجه عروسه تقول له : « أنا ، أنا ، أنا . . . »

وقدم عشاءه ليفطر ، وكان خبزاً وزيتاً ، فإذا الباب يقرع ؛ قال : من هذا ؟ قال الطارق : سعيد ! . . .

سعيد ؟ سعيد ؟ من سعيد ؟ أهو أبو عثمان ؟ أبو علي ؟ أبيض الحسن . فكرر الرجل في كل من اسمه سعيد إلا سعيد بن المسيّب ؛ إلا الذي قال له : « أنا . . . »

لم يخالجه أن يكون هو الطارق ، فان هذا الامام لم يطرق باب أحد قط ، ولم ير منذ أربعين سنة إلا بين دارة والمسجد . ثم خرج إليه ، فإذا به سعيد بن المسيّب ، فلم تأخذه عينه حتى رجّع القبر فهبط فجاءه بظلامه وأمواته في قلب المسكين وظن أن الشيخ قد بدأ له ، فندم ، فجاءه للطلاق قبل أن يشيع الخبر ، ويتعدّر إصلاح الفلطة ؛ فقال : « يا أبا محمد ، لو .. لو .. »

دين النفس والخلق ، وإن ألف بعير يقنوها الرجل خالصة عليه ثابتة له لا تزيد في منزلة دينه قدر نعمة ولا مادونها . والحجران : الذهب والفضة - قد يكون شعاعها في هذه الدنيا أضواً من شمسها وقرها ، ولكنهما في نور النفس المؤمنة كصاتين يأخذهما الرجل من تحت قدميه ، ويذهب يزعم لك أنهما في قدر الشمس والقمر .

وهلاك الناس إنما يقضى بمحاولتهم أن يكونوا أناساً بميوهم وذوهم ؛ فهذا هو الانسان المدبر عن الله وعن نفسه وعن جنسه ؛ لا يكون أبوه أباً في عطفه ، ولا أمه أمّاً في محبتها ، ولا ابنة ابناً في ربه ، ولا زوجته زوجة في وفائها ؛ وإنما يكونون له مهالك كما رويتنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يأتي على الناس زمان يكون هلاك الرجل على يد زوجته وأبيه وولده ؛ يميرونه بالفقر ، ويكفرونه ما لا يطيق ؛ فيدخل الداخل التي يذهب فيها دينه فيهلك . »

\*\*\*

وصاح المؤذن ، فقطع الشيخ مجلسه وقام الى الصلاة ، ثم خرج الى داره فتلقت ابنته وعلى وجهها مثل نوره ، قالت يا أبت ، كنت أتلو الساعة قوله تعالى : « رَبِّنا آتِنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة . فما حسنة الدنيا ؟ قال : يا بنية هي التي تصلح أن تذكر مع حسنة الآخرة ، وما أراها للرجل إلا الزوجة الصالحة ، ولا للمرأة . . . »

وطرق الباب فذهب الشيخ يفتح ، فإذا الطارق (أبو وداعة) وكان يجالسه ويأخذ عنه ويلزم حلقته ، ولكنه فقده أباماً . فدخل مجلس . قال الشيخ : « أين كنت ؟ »

قال : « توفيت أهلي فاشتغلت بها . »

قال الشيخ : « هلاً أخبرتنا فشهدناها ؟ » ثم أخذ يفيض في الكلام عن الدنيا والآخرة . وشعر أبو وداعة أن القبر ما يزال في قلبه حتى في مجلس الشيخ ، فأراد أن يقوم ؛ فقال (سعيد) : « هل استحدثت امرأة غيرها ؟ »

قال : « يرحمك الله ، أين نحن من الدنيا اليوم ، ومن يزوجني وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة ؟ »

قال الشيخ : « أنا . . . . . »

فانتال النساء عليه من هنا وهننا حتى امتلأت بهن النار .  
وغشيت الرجل غشية أخرى لحسب داره تنبه على قصر عبد الملك  
ابن مروان ، وكأنما يسمعها تقول : « أنا ، أنا ، أنا ... »

\*\*\*

قال أبو وداعة : « ثم دخلتُ بها ، فاذا هي من أجل الناس  
وأحفظهم لكتاب الله تعالى ، وأعلمهم بسنة رسول الله صلى  
الله عليه وسلم ، وأعرفهم بحق الزوج . »

قال : « ومكنت شهرًا لا يأتيني سميد ولا آتية ، فلما كان  
بعد الشهر أتيتهُ وهو في حلقة فسلمتُ ، فردَّ عليَّ السلام ،  
ولم يكلمني حتى تفرَّق الناس من المجلس وخلا وجهه ، فنظر اليَّ  
وقال :

« ما حالُ ذلك الإنسان ... .. ؟ . »

\*\*\*

أما ذلك (الإنسان) فلم يعرف من الفرق بين قصر ولي المهدي  
ابن أمير المؤمنين وبين حجرة أبي وداعة التي تُسمى داراً ... ! إلا  
أن هناك مضاعفةً لهم ، وهنا مضاعفة الحب .

وما بين (هناك) إلى القبر مدة الحياة ستختُّ الروح من  
نور نور ، إلى أن تنطفئ في السماء من فضائلها .

وما بين (هنا) إلى القبر مدة الحياة - تسطع الروح بنور  
على نور ، إلى أن تشتعل في السماء بفضائلها .  
وما عند أمير المؤمنين لا يبقى ، وما عند الله خير وأبقى .

\*\*\*

ولم يزل عبد الملك يحتمل (لسميد) ويرصدُ غوائله حتى  
وقعت به المحنة ، فضر به عامله على المدينة خمسين سوطاً في يوم بارد ،  
وصب عليه جرّة ماء ، وعرضه على السيف ، وطاق به الأسواق  
عاريًا في تَبَانٍ<sup>(١)</sup> من الشعر ، ومنع الناس أن يجالسوه أو يخاطبوه .  
وبهذه الواقعة ، وبهذه الرذيلة ، وبهذه المخزاة قال عبد الملك بن  
مروان : « أنا ... .. ؟ »

مصطفى صادق الرافعي

طنطا

(١) التبان : ما يبسى اليوم (المايو) أو لباس البحر . ذكره  
الجاحظ وقال : هو سراويل قصير يلبسه اللاهون .

لو - لو أرسلت إلى لأتيتك ! »

قال الشيخ : « لانت أحق أن تُؤتني »

فما صكَّت الكلمة سمع المنكين حتى أبلس الوجود في  
نظره ، وغشيت الدنيا صمت كصمت الموت ، وأحس كأن  
القبر يتمدد في قلبه بمرور الأرض كلها ! ثم فاء لنفسه وقد رآن  
ليس محلَّ شيخه إلا أن يأمر ، وليس محله هو إلا أن يطيع ،  
وأن من الرجولة ألا يكون معرفة على الرجولة ، ثم نكس  
وتنكس ، وقال بذلة ومسكنة : « ما تأمرني ؟ »

فتفتحت السماء مرة ثالثة ، وقال الشيخ : « إنك كنت  
رجلاً عزيزاً ، فتزوجت ، فكرهت أن تبيت الليلة وحدك ؛  
وهذه امرأتك ! »

وأبحرف شيئاً ، فاذا العروس قائمة خلفه مستتره به ، ودفعها  
إلى الباب وسلم وانصرف .

وابعث الوجود فجأة ، وطن كحسن الملائكة في أذن أبي  
وداعة : « أنا ، أنا ، أنا ... »

\*\*\*

دخلت العروس الباب وسقطت من الحياء ، فتركها الرجل  
مكانها ، واستوثق من بابه ، ثم خطا إلى القصة التي فيها الخبز  
والزيت ، فوضعها في ظل السراج كي لا تراها ؛ وأغمض السراج  
عينه ونشر الظل ...

ثم صعد إلى السطح ورى الجيران بحصيات ؛ ليلموا أن له  
شأنًا اعتراه ، وأن قد وجب حق الجار على الجار « وكانت هذه  
الحصيات يومئذ كأجراس التليفون اليوم ) فجاءوه على سطوحهم  
وقالوا : ما شأنك ؟ »

قال : « وَيَحْكُمُ ! زَوْجَتِي سَمِيدُ بْنُ النَّسِيبِ ابْنَتُهُ الْيَوْمَ ،  
وقد جاء بها الليلة على غفلة . »

قالوا : وسَمِيدُ زَوْجِكَ ! أهُوَ سَمِيدُ الَّذِي زَوَّجَكَ ! أَرَزَّوَجَكَ  
سَمِيدُ ؟ »

قال : « نعم »

قالوا : « وهي في الدار ! أتقول إنها في الدار ؟ »

قال : « نعم »